وكلماته الخالدة السرمدية لا تنفد :

قل لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي لنفد البحرُ قبل أن تنفدَ كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مدداً ، صدق الله العلي العظيم .

د . ظهور احمد اظهر

رئيس التحرير .

وضع اللغة العربية في الجامعات الباكستانية(١)

للدكتور مير ولي خان

لايخفى أن اللغة العربية طريقة للتعارف والتفاهم بين الكائنات الحية ، وهي في أرقى أنواعها طريقة يتخاطب بها أفراد الكائن الحي ، وإنها ذات إمكانيات صوتية سمعية يحدث الكائن الحي أصواتا مختلفة ولكل صوت منها معنى معين ، إذا وصل إلى سمع كائن آخر من نفس النوع استوعبه واستجاب له. ولاريب أن اللغات تختلف من حيث ترقيتها و تقدمها وإتساعها . ويتضح على دارس اللغة العربية أنها تتمتع بمزايا منفردة ، وتحل مكانة رفيعة ضمن اللغات العالمية الراقية... ذلك أن اللغة العربية من أغنى اللغات كلماً ، و أعرقها قدماً ، وأخلدها أثراً ، وأرحبها صدراً ، وأدومها على غير الدهر محاسنة و صبراً ، وأروعها تأثيراً ، وأغزرها مادة ، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس أو يجول في الخاطر من تحقيق علوم ، و سن قوانين و تصوير خيال و تعيين مرافق .

---

(١)محاضرة ألقاها المؤلف في الحلقة الدراسية التي نظمها القسم العربي لجامعة بنجاب بمناسبة التجديد في المناهج والمقررات التي قام بها القسم بعد مضى مئة عام على فصول الماجستير به في ١٩٨٨ م ...

لذلك تستحق اللغة العربية من الدارسين كل العناية ، و خاصة من الدول الإسلامية والشعوب المسلمة ، لأنها مصدر ثقافتهم الإسلامية الأصيلة ، بجانب أنها لغة القرآن الكريم و السنة النبوية والشريعة الإسلامية ولها أهمية كبرى في جمهورية باكستان الإسلامية التي أسست على نظرية العقيدة الإسلامية في شبه قارة جنوب آسيا.

ولاشك أن عقد المؤتمر الدولي في اسلام آباد حول تطوير اللغة العربية بين الشعب الباكستاني المسلم برعاية جامعة العلامة اقبال المفتوحة تحضرها نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين وكبار الأساتذة لتدريس اللغة العربية مبادرة طيبة من الجامعة المذكورة وأرجو أن تكون لهذه الحلقة الدراسية الحرة نتائج مثمرة ، وآثارا طيبة بعيدة المدى في إدخال التعديلات الجذرية في تلك المناهج العربية في باكستان ، وبصفة خاصة على المستوى الجامعي بجانب توجيه اهتمام القائمين على تدريس اللغة العربية إلى الاستفادة بطرق التعليم الحديثة ، والوسائل التعليمية المتطورة التي توصل إليها علماء التربية في العصر الحديث ، والتي تمكن طلاب اللغة و آدابها من إتقان أية لغة في العالم ، في مدة قصيرة جداً ، لأن التركيز فيها يكون على الوسائل التعليمية الحديثة من بصرية وسمعية و تطبيقية أكثر جدا.

ولايخفى على دارس اللغة العربية في شبه القارة

الآسيوية أن تدريس اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يجد اهتماماً كبيراً منذ أن دخل الإسلامُ إلى هذه القارة على يد الفاتح العظيم محمد بن القاسم الذى فتح بلاد السند في عهد الخلافة الأموية بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي أمير الكوفة آنذاك ، إذ كان العلماء في هذه القارة يبذلون جهودا جبارة في نشر اللغة العربية بين عامة الناس ، حتى أن بعض المناطق في السند كانت تستخدم الألفاظ والتراكيب والتعبيرات حتى إلى العهود الأخيرة جدا.

بالإضافة إلى أن اللغة العربية تلعب في الوقت الحاضر دوراً هاماً في لغات باكستان المحلية لدرجة أن أكثر من خمسين في المائة من التراكيب والتعبيرات والألفاظ في اللغات المحلية لباكستان تتكون من تراكيب وألفاظ و تعبيرات عربية أصلا مع تغيير بسيط جداً. على أن اللغة العربية مصدر خصب للغات باكستان المحلية ، بل هي ملتقى ثقافاتنا المختلفة ، حيث أنها تجمع تلك الثقافات تحت الثقافة الإسلامية الواحدة التي قوامها القرآن والسنة النبوية ، والتي مرجعها الأدب العربي والتاريخ الإسلامي ، وكتب اللغة العربية بشتى أنواعها وفروعها . إذن فإن اللغة العربية ليست لغة الدين و لغة القرآن والسنة فحسب ، وإنما هي لغة الثقافة الإسلامية ، ولسان تراثنا الخالد الذى تفرع إلى جداول مختلفة في صوت لغات محلية شتى

للأمة الإسلامية، غير أن جميعها تصب في بحر واحد ، ألا وهو بحر تراثنا الإسلامي الخالد .

لذلك وجب على مفكرى الإسلام بصفة عامة وعلى علماء اللغة العربية في باكستان بصفة خاصة أن يبذلوا قصارى جهودهم من أجل تطوير اللغة العربية في باكستان وأن يجعلوها مادة شيقة للطلاب .

وأني أبارك أساتذة جامعة العلامة إقبال المفتوحة الذين شمروا عن سواعد لحمل هذا العب ء الشاق والهام الذى يحتاج إلى الممارسة الطويلة والعمل المضني والصبر الجميل حتى يكلل هذا العمل بالنجاح عن طريق تطوير اللغة العربية في باكستان ، وتمكين الطالب الباكستاني من اتقانها و إجادتهاكل الإجادة . وأؤكد لسيادتكم أن اليوم الذى تجد فيهااللغة العربية إقبالا شديداً من الطلاب والطالبات ليس ببعيد ، وكل ما هنالك هو أن نبذل الجهود المضنية في تيسير هذه اللغة ، وجعلها سهلة شيقة محبوبة لدى القارئ والسامع.

يستحسن أن نراعي شعور الدارسين من الطلاب و الطالبات وقت وضع المناهج الدراسية ، وأن نقدم إليهم قسطاً كبيراً من الأدب المعاصر ، بجانب الإلمام الكامل بالأدب القديم ، وخاصة الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية عن هذا الأدب القديم ، لكي نحافظ على الاعتدال والاتزان في المنهج الدراسي للغة العربية في باكستان .

بالإضافة إلى يستحسن الاستفادة بالمناهج المختلفة التي وضعت لتدريس اللغات الحية العالمية الأخري مثل اللغة الإنجليزية والفرنساوية والألمانية وغيرها من اللغات العالمية ، بجانب الاستفادة بالطرق الحديثة التي انتهجها العلماء لتدريس تلك اللغات ، وأن نبذل الجهود في سبيل تفهم تلك الطرق الحديثة الخاصة بالتدريس حتى نكون على علم تام بهذه الطرق الناجحة.

ولاشك أن العلم الحديث يتطلب من الطالب أن تكون له قدرة كاملة على النطق والكتابة والفهم للغة التي يريد التخصص فيها . ذلك أنه لاترضى أية جامعة في العالم الحاضر بأن تمنح شهادة عالية في اللغة العربية إلى طالب لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية أو يكتب فيها مقالة أو طلبا أو رسالة بسيطة . ولكن مع الأسف الشديد نجد أن الطالب في الجامعات الباكستانية لايقدر أن ينطق نطقاً صحيحاً حتى بجملة واحدة بل أنه لايستطيع أن يكتب طلباً بسيطاً باللغة العربية ، فانه ينجح في اللغة العربية بل يفوز بدرجة جيدة في هذة اللغة . وهذه ممارسة غير صحيحة في الجامعات الباكستانية بل هو أمر يؤسف له لأن هذا العمل لايساعد قطعاً الطالب وإنما يعرقل تطوير اللغة العربية في باكستان.

ولاريب أن اللغة العربية لها دور هام في وحدة الشعب الباكستاني فكرياً وثقافياً وأدبياً ، ذلك أن أهل

باكستان يتحدثون بلغات محلية عدة ، و بطبيعة الحال يتحمس أهل كل إقليم للغته الخاصة ، غير أن الجميع يحبون اللغة العربية ، ويفضلونها على لغاتهم المحلية ، لأنها لغة القرآن ولغة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنها مصدر ثقافاتهم القومية ، و منبع تراثهم الإسلامي ؛ ولأنها لغة وحي إلهي الذى يؤمن به الشعب الباكستاني والذى جاءت باكستان بموجبه إلى معرض الوجود عام ١٩٤٧ م .

وأحب أن أشير هنا إلى الخطأ الكبير الشائع في باكستان بشأن تعليم اللغة العربية وهو تدريسها عن طريق الترجمة ، حيث يقوم الأستاذ بشرح العبارة العربية باللغة الأردية أو اللغات المحلية الأخري . ولا يكلف الطالب أو الطالبة حتى على قراءة العبارة العربية لذلك يجلس الطلاب في الفصل صامتين، مصغين لشرح الأستاذ باللغة الاردية، وإذا لم يفهم أحد منهم العبارة أو المعني ، فيسأل الأستاذ بالأردية أيضاً . لذلك فالطريق الصواب هو أن يلزم الأساتذة أنفسهم بالتحدث داخل الفصل باللغة العربية ، و أن يلقوا محاضراتهم بهذه اللغة مباشرة ، وإن وجدوا في ذلك مشقة على أنفسهم في البداية ، وصعوبة في الإلقاء والتحدث ، ولكن تزول هذه المشقة سريعاً بالممارسة ، وتتلاشى تلك الصعوبة بمرور الزمن عن طريق الاستمرار في التحدث باللغة العربية . لأننا نرى هذه الظاهرة ناجحة في اللغة الانجليزية التي يمارس تدريسها مباشرة في الكليات

بدون اللجوء إلى ترجمتها إلى لغة أخري، لأن الأستاذ يلقي محاضراته باللغة الانجليزية مباشرة . وهذه طريقة متبعة في العالم كله في الوقت الحاضر، وهذه طريقة ناجحة في تعليم اللغة، كما أنها طريقة سهلة في نفس الوقت، لأن الطالب مكلف بموجبها أن يوجه ذهنه كله إلى إتقان لغة واحدة ، وأن يعود نفسه على فهم المحاضرة باللغة العربية مباشرة . وهذه طريقة ناجحة للغاية لأننا جربناها في المعهد القومي للغات الحد يثة بإسلام آباد ، وثبتت مثمرة و مفيدة جداً .

بالإضافة إلى ذلك فان تأهيل الأستاذ، وتمكنه من اللغة ، و تحضيره للدرس لها دور فعال و هام في تنمية اللغة عند الطلاب ، ولها صدى بعيد في تنشيط الطلاب للإقبال على تعلم اللغة العربية ، لأن الطالب إذا فهم الدرس، فبطبيعة الحال يجتهد في التعلم أكثر. وبالعكس إذا لم يفهم الدرس فإنه يبقى كسلاناً ، وتنقص عنده الرغبة في التعلم تدريجياً حتى إنه يترك أحياناً تعلم اللغة العربية نهائيا ، ويبحث عن الانتساب في مادة أخرى غير العربية ؛ وهذا ما يحدث فعلا في الجامعات الباكستانية بكثرة . ويرجع سببه الأصلي إلى أن الأستاذ يثقل على الطلاب في أول محاضرته التي يلقيها عليهم ، إذ يفاجئهم بكلمات غريبة ضخمة و عبارات غير مأنوسة معقدة التي تنفر الطلاب من تعلم اللغة العربية في اليوم الأول .

وهناك نقطة هامة أخرى وهي أن تدريس النقد الأدبي و البلاغة والفصاحة و العروض في المرحلة الجامعية لابد أن تكون مرحلته بعد أن يتقن الطلاب اللغة العربية أولا، لأن فكرة النقد الأدبي، والملكة البلاغية و المهارة العروضية تأتي بعد تفهم الطلاب للغة العربية . ولا يخفى أن أغلب الطلاب و حتى بعض الأساتذة في حالات خاصة قاصرون من التذوق العربي الصحيح وبعيدون عن الحلي بالقدرة الكاملة على تفهم اللغة العربية بل أن أكثر الطلاب عاجزون عن قراءة الكتب العربية قراءة صحيحة ، إذن فكيف يمكن لهم أن يتوصلوا إلى تذوق النقد الأدبي في اللغة العربية كيف يمكن لهم ان يتمكنوا من التلذذ ببلاغة و فصاحة اللغة العربية وآدابها . أما العروض فعلاقته بالشعر العربي فقط لذلك له درجة أدني في اللغة العربية لعدم توقف تعلم اللغة العربية عليه . وإنما يعد من تكميلات فرع من اللغة فقط . على أن العروض قد ظهر بعد أن وصل الشعر العربي إلى قمة الكمال. لذلك لا داعي لأن يجعل العروض عنصراً هاماً لتعلم اللغة العربية.

وإنما الاهتمام الزائد يجب أن يعطي إلى فهم الشعر العربي وهذه من حيث اللفظ والمعني معاً ، حتى يتمكن الطلاب الذين يريدون التخصص في اللغة من إتقان اللغة أولا ، ومن تذوق الشعر العربي ثانياً طبق الأساليب الشعرية الأدبية.

وأخيراً أود أن أقدم الاقتراحات التالية الخاصة بتطوير اللغة العربية في باكستان راجياً أن توضع تلك الاقتراحات في شكل توصيات هذه الحلقة الدراسية:

١. نظراً إلى أن مستوى طلاب الماجستير في اللغة العربية ناقص جدا حيث أن الطلاب يفاجئون بتكثف غير متوقع في المنهج الدراسي على ذلك المستوى بناء على عدم إعدادهم تدريجياً للدراسة المتقدمة فيجب أن يكون هناك توسع و تكثف في منهج البكالوريوس الدراسي أو تنعقد دورة تمهيدية قصيرة لتقوية اللغة قبل الشروع الرسمي في الدراسة على مستوى الماجستير.

٢. تشكيل لجنة دراسية خاصة تتكون من رؤساء الأقسام العربية والخبراء والمتخصصين المعروفين في الجامعات لأجل إعادة النظر في المناهج للدراسات العليا ، وصياغة تلك المناهج في صورة متجانسة لتكون الدراسات العليا في الجامعات على وتيرة واحدة من حيث الحجم والكمية والكيفية.

٣. جعل اللغة العربية وسيلة للتعليم في تدريس هذة اللغة على المستوى الجامعي على الأقل .

٤ .ادخال تعديلات جذرية في مناهج الدراسات العليا (ماجستير) بتعاون الاساتذة المتخصصين في اللغة والذين يعملون في مختلف الجامعات الباكستانية.